اجتهادات
الزمنُ لا يعود .. ولكن !

لا يمكن إعادة التاريخ إلى الوراء. الزمنُ الذى مضى لا يعود. ومع ذلك يمكن إجراء تمرين ذهنى بشأن مرحلة تاريخية مهمة، ومحاولة تصور ما كان ممكنًا أن يحدث فى حالة اختلاف مسارها. وهذا ما يحاول د. محمود أبو الرجال الأستاذ فى جامعة مونبلييه استكشافه فى نصٍ مُمتعٍ يعملُ عليه، وتفضل بإرسال مسودة أولى ليعرف ملاحظاتى بشأنها.

يتناولُ هذا النص مرحلة خلافة فلاديمير لينين فى قيادة الاتحاد السوفيتى السابق، من خلال رؤيةٍ نظريةٍ متكاملة، وتحليلٍ عميق لمعطيات تلك المرحلة, وصولا إلى إثارة السؤال عما كان ممكنًا أن يحصل فى حالةَ وصول تروتسكى وليس ستالين إلى قمة السلطة. وهو يعرفُ جيدًا أن طرح أسئلة تستدعى إجاباتُها عودة الزمن إلى الوراء ليس علميًا, ولكنه يعتقدُ أن هذا النوع من الأسئلة قد يكونُ مدخلاً لاستخلاص دروسٍ تاريخية.ولا أختلفُ معه فى هذه الرؤية، ولا فيما استخلصه فى النهاية بغض النظر عن التفاصيل. ولكن اقترحتُ عليه أن يختم الكتاب بحوارٍ متخيلٍ بين شابين يساريين ينحازُ أحدهما إلى ستالين والثانى إلى تروتسكى. وفى هذا الحوار يجادلُ المنحاز لستالين بأن الظروف الضاغطة فرضت عليه أن يكون دمويًا فى التعامل مع معظم رفاقه وليس فقط مع تروتسكى، الذى نفاه ثم دبر لاغتياله فى المكسيك.

أما نصير تروتسكى فيركزُ على ما كان ممكنًا أن يختلفَ فى حالة أنه الذى تولى قيادة الحزب الشيوعى السوفيتى، والتزم بما عُرف عنه من إخلاصٍ وأخلاقٍ وشجاعة، وترك الزهور تتفتحُ داخل الحزب وحوله، واحتوى المختلفين معه واستفاد من أفكارهم بدلا من قتلهم بدمٍ بارد، وأقام معهم بناء اشتراكيًا قويًا صمد خلال الحرب الباردة، وتمكن بالتالى من الفوز فيها، أو على الأقل تجنب التفكك الذى حدث فى النهاية نتيجة اختلالات تراكمت وأخذت تنخر فى جسده إلى أن انهار وترك إرثًا ثقيلا يعانى منه العالم حتى اليوم.صحيحُ أن الزمن لا يعود، ولكن بعض دروس التاريخ يمكنُ استخلاصها من خلال محاولة تصور ما كان ممكنًا أن يحدث فى حالة اختلاف مساره.